ثقافة

ميرنا الشدياق

إختتام ترميم معبد جوبيتر وتأهيل موقع بعلبك الأثري وزير الثقافة: مَن صفّ الحجر رمّم الزمان لا المكان فقط

تعتبر قلعة بعلبك المتجذرة في التاريخ من روائع العالم القديم، ومن اكثر الاثار الرومانية عظمة، وهي لطالما اثارت استغراب الباحثين التاريخيين والاثريين، ان لجهة كيفية عمارتها او لجهة تاريخ بنائها. ولا شك انها من اكثر المواقع الاثرية استقطابا للسياح منذ القدم، خصوصا اثارها الرومانية التي تنتمي الى قائمة التراث العالمي للاونيسكو

هي حكاية ماض وتاريخ من الحروب والغزوات والفتوحات، شهدت على نشوء واندثار حضارات وممالك وامبراطوريات. قرون من الزمن، وبقيت قلعة بعلبك شامخة باعمدتها رغم الزلازل ومحاولات تغيير معالمها عبر التاريخ. الا ان عوامل الطبيعة القاسية هددت حجارتها بالسقوط مما استدعى ترميمها على مراحل حماية لحجارتها من المياه والرطوبة والحرارة والجليد التي تؤدي الى تآكل حجارتها وتيجانها ونقوش اعمدتها وجدرانها ومداخل هياكلها، ومن بقايا جذور نباتات طفيلية قديمة وجديدة نبتت واستحدثت شقوقا ما بين مفاصل الحجارة المقابلة للشمس، وتفتتا في الاماكن الرطبة البعيدة من اشعة الشمس، وفي الاماكن التي تأخذ وقتا زمنيا لتبخر الرطوبة من بين جدرانها ومفاصلها.

وقد حذرت تقارير مركز التراث العالمي في الاونيسكو من الاهمال الذي تتعرض له القلعة، وطالبت بوضع الخطط العاجلة لانقاذها وخصوصا انقاذ معبد باخوس من اخطار الرطوبة التي يمكن ان تؤدي الى تفكك حجارته. وعلى الرغم من ان هذه المعابد العظيمة كانت ولا تزال محجة لكل قاصد، وثروة وطنية وجزءا اساسيا من التراث العالمي، الا ان الدولة اللبنانية لم ترعاها بما يستحق بل زادت في اهمالها ولم تمنحها تاليا الاولوية ضمن مشاريع التنمية الاثرية، فاتت المبادرة الايطالية لتمد يد العون لهذا الصرح واعطته الاولوية عبر ترميم اجزاء من قلعة بعلبك ومحيطها والحفاظ على تراثها الثقافي.

تشير الدراسات الى ان الترميم يعطي هذا الموقع الاثري رونقا اضافيا، ولولاه لكانت الاعمدة مهددة بالسقوط نتيجة الاضرار من العوامل الطبيعية منذ سنوات ولم يحصل مثل ترميم كهذا لقلعة بعلبك منذ عام 1933. والمفارقة ان

وزير الثقافة محمد وسام المرتضى.

هذه الاعمال اليوم اهم بكثير من اعمال الترميم في عهد الانتداب الفرنسي الذي نفذ اعمال ترميم بالاسمنت تحتوي على املاح تؤدي الى تشققات في الحجر، ونتج منها تفتيت بعض اجزائه، وهو ما عانت منه اعمدة معبد جوبيتر منذ حقبة الانتداب الفرنسي. اضافة الى اضرار كبيرة لحقت بالتاج والاعمدة، خصوصا ان الفرنسيين نفذوا وصلة كاملة للاعمدة حيث باتت مترابطة كعمود واحد بدلا من ستة اعمدة.

مؤخرا، اختتمت اعمال ترميم معبد جوبيتر واعادة تأهيل موقع بعلبك الاثري، فيما تكمن اهمية هذا الترميم انه حصل في اكبر المعابد هو معبد جوبيتر، والمشهور منه بقاياه، وهي الاعمدة الستة الضخمة التي لا تزال ماثلة للعيان والتي يبلغ ارتفاعها 22 مترا. يتألف من اربعة اقسام رئيسية هي الرواق المقدم، وكان شكل المدخل العمائري، يليه البهو المسدس، البهو الكبير، ثم الهيكل.

يتألف الرواق المقدم من بنية اشبه ما تكون ببوابة، على طرفيها برجان، بينهما رواق يرتكز على صف من 12 عمود غرانيت.

تفضي ابواب الرواق الى البهو المسدس، وهو فناء مكشوف للشمس، تحوط به ستة اروقة ترتكز على 30 عمودا من الغرانيت، ويبلغ طول البهو الكبير 134 مترا، وعرضه 112 مترا.

استغرق بناؤه اكثر من ثلاثة قرون، وتعاقب عليه اباطرة عدة، ومع اعتراف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية ديانة للامبراطورية، وتحول الامبراطورية من الوثنية، اوقف العمل في المعابد الوثنية، ودمر بعض الاباطرة كل ما هو وثني، وبنوا فوقها كنائس.

تطلب استكمال المشروع جهدا غير عادي، اذ جرى تنفيذه في اطار برنامج التراث الثقافي والتنمية الحضرية (CHUD) من مجلس الانماء والاعمار، بالتعاون مع الوكالة الايطالية للتعاون التنموي. وقد فاقت مساهمة ايطاليا الاجمالية في البرنامج المذكور 12 مليون يورو.

وتمت الاعمال تحت اشراف اختصاصيين واستشاريين ايطاليين لديهم خبرة كبيرة في هذا المجال، ويستعملون احدث التقنيات العالمية من اجل حماية القلعة وحجارها من التفسخ والتفتت والفطريات التي كانت تصيبها.

وفي هذا السياق، اجرت "الامن العام" حوارا مع وزير الثقافة محمد وسام المرتضى عن اهمية هذا الترميم والمساهمة الايطالية فيه.

■ ماذا تعني لكم قلعة بعلبك، وما اهمية هذا الترميم اليوم؟

□ الموقع الاثري في بعلبك هو مكان لا نظير له في الكوكب كله، فبعلبك موعد دائم لترميم الزمان. الاعمدة التي ترتفع فيها، والحجارة التي تتشابك بناء، او تنطرح ارضا على صعيدها، وادراج المهرجانات والاقبية المسقوفة في قلعتها، والبطولات التي تتدفق من دماء ابنائها، هي بيننا ألسنة الايام والسجل الناطق بالفخامة والكبرياء، عنَ حضارات حلت ثم ولت، او ظلت تاركة شواهدها الثقافية الضخمة كي تحكي لنا التاريخ المتصل منذ الاف السنين. ويصح القول ان من اعاد صف حجر فوق حجر، في اوابد الماضي المهدمة، يكون قد رمم الزمان لا المكان فقط.

بعلبك خلال الترميم.

خلال الاعلان عن اختتام الترميم.

■ تتحدثون هنا عن الحضارة الرومانية وهي التي تنتشر اثارها على امتداد الجغرافيا اللبنانية؟

□ من افضل دروس الحاضر استعادة شيء من التاريخ الذي هو خير معلم. الذي ينبئ ان العولمة الاولى في تاريخ البشرية قد تكون الحضارة الرومانية التي بسطت سلطانها على حوض البحر الابيض المتوسط، منذ حوالى ثلاثة الاف عام، فلم تكتف باستدراج خيرات العالم الى روما فحسب، بل وسعت مجال التنمية الشاملة على كل ارجاء امبراطوريتها، فكانت حصة لبنان وفيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، هذا المعبد الشاهق في بعلبك، ومدرسة الحقوق في بيروت، والمدرج الروماني في صور، وسواها من الهياكل والمعابد والقلاع، على امتداد الجغرافيا اللبنانية. وكان الاباطرة من عرقا، ومن حمص ايضا، بالاضافة الى معالم عمرانية مزروعة في الشرق والغرب، تشهد للعظمة والانفتاح. اليوم، في ظل العولمة الحالية التي نعيش، بما فيها من ايجابيات كثيرة وسلبيات اكثر، لاسيما لناحية محاولة فرض ثقافة معينة على جميع البشر، يصبح تذكر التاريخ مدرسة نافعة جدا كما قلت، لا لمجرد الذكرى بل لبث الوعي في النفوس، من اجل مواجهة مشاكل الحاضر وتحدياته المتراكمة. ولا شك في ان واحدا من المشاكل التي نعانيها، هو تقلص المساحة المخصصة لنشر ثقافة التعايش الانساني الحضاري بين البشر مع احترام الخصوصيات التي يتمتعون بها، وذلك على الرغم من الشعارات والبرامج التي تطلقها سياسات الدول وهيئة الامم المتحدة والمنظمات الدولية المختلفة. من الثابت الذي لا يخفى على احد، ان محاولات السيطرة على مصائر الشعوب لدى بعض الدول المتحكمة لا تزال ممعنة في اتساعها، وهي اليوم ترتدي طابع الحصار الاقتصادي او التقني المتعلق بالتطور الرقمي، او حتى الصحي، من غير ان تتراجع ادواتها السياسية والعسكرية. ان عمارة الارض لا تكون الا بالتلاقي والتعارف وتبادل الخبرات بدلا من الحروب والاحتلالات والقتل والتهجير، كما تعرضت له بلادنا في العصر الحديث بدءا من احتلال فلسطين ولا تزال تتعرض له الى يومنا الراهن.

■ ما سبب اهتمام ايطاليا بترميم القلعة؟

□ السفارة الايطالية في بيروت كانت ولا تزال تعمل بدأب على نشر قيم التلاقي من خلال اهتمامها بالموروث الثقافي اللبناني، من غير تفريق بين المنتمي الى الحقبة الرومانية كمعبد جوبيتر، وذاك الذي يشكل ثروة معرفية للانسانية جمعاء، كوادي قاديشا والمتحف الوطني، وغيرهما من المواقع الاثرية القديمة والمتوسطة في مدن وبلدات لبنانية عديدة. هذا العمل الجاري تحت اشراف سعادة السفيرة الصديقة نيكوليتا بومباردييري، ومتابعتها الحثيثة، يؤكد متانة علاقات الصداقة بين ايطاليا ولبنان، ورسوخ مفاهيم التعاون والتنمية في توجهات الدولة الايطالية والشعب الايطالي.

■ رغم الازمة الاقتصادية في لبنان هناك من يولي اهتماما بالشأن الثقافي من خلال تمويل مشاريع ما السبب؟

□ لا يستطيع لبنان، في ظل الازمة الخانقة التي يعيش، الا ان يثمن جميع مبادرات التعاون التي تقدمها له الدول الصديقة، وفي مقدمها الدولة الايطالية، عبر المساعدات والهبات الرامية الى تمويل المشاريع الثقافية والحياتية والانمائية المختلفة. فعندما تنغلق الابواب في وجوه المواطنين، لا بد من التفتيش عن مفتاح ما، لباب ما، يكون مدخلا الى فتح الابواب كلها. وهل ثمة باب اشد رسوخا في الارض وارتفاعا في السماء، واتساع مصراعين للريح، اكثر من باب الثقافة الذي ينبغي له ان يكون واحدا من محفزات الاقتصاد الوطني، وفصلا متقدما في خطة التعافي المنشود، وهذا ما حرصنا على العمل لاجله.